نحـــو استراتيجيّة مستقبليّـــــة
لمنتـــدى الفكـــر العربـــــيّ
للسنوات الخمس المقبلة
[مسوّدة أوّليّة]

الحسن بن طلال
رئيس المنتدى وراعيه

(١)

يمرّ الوطن العربي بمرحلة بالغة الخطورة والتعقيد، ويطل على مفترق طرق لـــم يشهده على مدى الخمسين سنة الماضية. وتعود خطورة المرحلة إلـــى اعتبـــارات خاصة بالوطن العربي نفسه، وإلى التغيرات الدولية السريعة التي لم يستطع النظام العربي مواكبتها. فهو يعاني مـــن "انكـــشافات" علميـــة وتكنولوجيـــة وصـــناعية وثقافيـــــة وإعلامية ومعرفيـــة وغذائية وأمنية هائلة. يكفي أنه لـــم يـــستطع أن يتجـــــاوز حاجز الـــ ١٠% في التجارة العربيـــة-العربيـــة، كمـــا تـــصـــاعدت المستوردات لتصـــــل إلى ١٠٠٠ دولار للفرد في السنة مقابل صادرات محـــددة لا تتعدى ٦٠٠ دولار للفرد في السنة. وما زالت الكتب الجديدة الـــصادرة ســـنويا أقل من ٣,٣ كتاب لكل ١٠٠ ألف من السكان، ومتوسط الإنفاق على شراء الكتب أقل من ٥ دولارات للفرد سنويا، ومتوسط الإنفاق الرسمي على الثقافة أقل من ٢ دولار للفرد سنويا. ولا يزال الإنفاق على البحث العلمي والتطوير التكنولـــوجي أقل من ٥ دولارات للفرد سنويا، مقارنة بعشرات الدولارات ومئاتها فـــي الـــدول المتقدمة.

لقد تحول العالم إلى حالة جديدة تمثلها العولمة بكل ما يعني ذلك من انحسار للحدود الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية والسلعية والتنافسية. وتغير النظام العالمي إلى نظام القطب الواحد. ونشأت حالة "الإرهاب الدولي" بكل خلفياتها الفكرية والعقائدية الزائفة وعبثيتها وتداعياتها السلبية على العلاقات الدولية عامة وعلى العلاقات العربية والإسلامية الدولية خاصة.

وقد تفاقم التقهقر العربي بتأثير إغفال دور المواطن العربي – من خلال أحزابه ومؤسساته المدنية – للمشاركة في رسم التوجهات الوطنية، وغياب التوافق العربي الرسمي على الحدود الدنيا من الجوامع، والتغاضي عن المشكلات الوطنية الداخلية وضغط القوى الدولية الكبرى. فتم احتلال العراق وتدمير بنيته الاقتصادية وتمزيق نسيجه الاجتماعي. وعلى الطرف الجنوبي للوطن العربي، يشهد السودان حالة معقدة من التداخلات السياسية والنزعات الانفصالية والمعاناة الإنسانية، سواء في دارفور أو جنوب السودان. وفي قلب هذا الوطن، ما زالت المسألة الفلسطينية تراوح مكانها. كذلك تصاعدت الأزمة اللبنانية منذ اغتيال الرئيس الأسبق رفيق الحريري وتفاقمت إلى الدرجة التي تهدد بالانفجار في أي لحظة بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان في شهر تموز/يوليو ٢٠٠٦.

وقبل هذا وذاك، لا تزال معاناة الإنسان العربيّ على أشدّها بين غياب الديمقراطية وبطء التحول نحو إدارة الدولة الحديثة، بما فيها التداول السلمي للسلطة، وبين اتساع مساحات الفقر لتتجاوز حاجز الـ ٢٠% وتفاقم البطالة ليتجاوز معدلها ٢٠%، بما في ذلك بطالة الخريجين الجامعيين التي تصل في بعض البلدان العربية إلى ٣٠%! أضف إلى ذلك ضعف منظمات المجتمع المدني وقلة أعدادها، فلا يتعدى معدلها منظمة واحدة لكل أربعة آلاف مواطن؛ وعجز الأحزاب السياسية عن ممارسة دورها في تطوير البرامج السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعبير عن تطلعات المواطن؛ وقبضة السلطة القوية وبطء برامج الإصلاح السياسي وسيادة الإعلام والثقافة العولميّة التي لا تخاطب القضايا

الجوهرية للمواطن؛ واغتراب الشباب النفسي والذهني؛ وارتفاع نموّ التزايُد السكّانيّ؛ والفجوة التكنولوجيّة، خصوصًا الفجوة الرقميّة؛ ومشكلات التعليم بمختلف مراحِله؛ والهجرة الداخلية والخارجية؛ إلى ما هنالك. لقد نجحت تحولات دول شرق آسيا لأنها كانت مدعومة بالتقدم الهائل في أنظمة التعليم، وجَسْر الفجوة بين العلم والإنتاج، وتسخير البحث العلمي والتطوير التكنولوجي لتعزيز القيم المضافة في منتجات السلع والخدمات التي أخذت تتمتع بمقدرة تنافسية هائلة؛ وهو ما عجزت الأقطار العربية عن النجاح في تحقيقه.

(٢)

والسؤال: أين نحن من كل هذا؟

هل يمكن التسليم أو الاستسلام للظروف لتصنع هذا المستقبل العربي كما يمكن أن يكون؟ إننا بكل ثقة نؤمن بأنه لا بد أن يكون للفعل العربي وللفكر العربي وللعلم العربي وللإنسان العربي دور فاعل في صياغة المستقبل العربي، ونؤمن بأن يكون للعرب دور في المساهمة في صنع مستقبل الحضارة الإنسانية.

وهذا يطرح المسألة بكل وضوح: ما الذي يمكن أن يفعله الفكر العربي في هذا المجال؟ وما هو دورنا في منتدى الفكر العربي؟ وما هي أدوار المنتديات المشابهة التي نتطلع إلى أن تنتظم جميعها في شبكة عربية متفاعلة تتقاسم الأدوار وتتكامل المهمّات وتتبادل المعلومات على طريق تشكيل تيار فكري عربي متقدم؟

ما هي الاستراتيجية التي نتطلع في منتدى الفكر العربي إلى رسمها؛ ومن ثم تنفيذها بالتعاون مع القوى العربية التي تؤمن بالفكر العربي المبدع الخلاق البعيد عن القولبة الجامدة والمواقف المسبقة؟ الفكر المتطلع إلى المستقبل بثقة رغم المصاعب، وبأمل رغم المشقة؟

ما هي خطة العمل التي سنضعها لمنتدانا حتى تتحول الأفكار إلى أعمال، والرؤية النخبوية إلى وعي جماهيري، والحوار بين المفكرين والعلماء إلى حوار مع السلطة وصانعي القرار؟

بمعنى آخر: كيف يمكن أن نجسر الفجوة بين العلم والفكر والعقل من جهة، وبين صنع القرار من جهة ثانية، وبين المواطن ومنظماته المدنية وقواه السياسية من جهة ثالثة؟ وما هي استراتيجياتنا؟

من حيث استراتيجية المنتدى للسنوات الخمس القادمة، فإنه يمكن التفكير في أربعة محاور رئيسية على النحو الآتي؛ على أنْ تشكّل هذه المحاور **سيرورة** تتشابك مع سيرورات أُخرى، إقليميّة وعالميّة:

الأول: مخاطبة مشكلات المواطن العربي في جوانبها الإنسانية المباشرة.
الثاني: البحث في القضايا الكبرى التي قد ترسم المستقبل العربي، سواء كانت هذه القضايا طبيعية كالموارد أو تكنولوجية أو سياسية اقتصادية.
الثالث: البحث في المشكلات السياسية التي تتطلب قاعدة فكرية جديدة أساسًا للتعامل معها.
الرابع: التجسير الفكري مع الثقافات الأُخرى.

ولتحقيق هذه الاستراتيجيّة، فإنّ المنتدى يجب أن يطوّر برامج جديدة تتمثّل بشكل رئيسيّ في المحاور الأربعة الآتية:

- إنشاء حالة متواصلة من الحوار الفكري العربي والدولي ليشمل مختلف الحلقات ذات الاهتمام.
- تنشيط حركة إعلامية رصينة حول مضمون الحوارات ونتائجها.

- نقل خلاصة الأفكار والبحوث والحوارات إلى مراكز صنع القرار.
- تعزيز حالة التشبيك Networking مع المؤسسات العربية والدولية المشابهة.
- إصدار تقرير سنوي/حول "حالة الأمة من منظور فكري".

على محور الجوانب الإنسانية المباشرة للمواطن العربي، فإن قضايا الحريات والديموقراطية والأمن والتعليم والفقر والحركية واللجوء والهجرة يمكن أن تحظى بالعناية والتركيز.

وعلى محور القضايا الكبرى، فإن مشكلات المياه والبيئة والتصحر والطاقة والعلم والتكنولوجيا والتصنيع يتوقع أن تمثل الحلقات الرئيسية في هذه السلسلة:

وعلى محور المشكلات السياسية الكبرى، تبرز قضايا الديموقراطية والأحزاب والسلطة والمؤسسية والقانون والحاكمية والتعايش والتنوع الديني والمذهبي والعرقي والثقافي في المقدمة.

وعلى محور التجسير الفكري، فإن حوار أتباع الأديان والثقافات وقضايا الهجرة والحقوق الدينية والإرهاب وصورة الآخر يمكن أن تكون مدخلا صحيحا في هذا الاتجاه.

إننا نقدم هذه الأفكار للهيئة العمومية للمنتدى لتدارسها والوصول إلى توافق على استراتيجية عمل للمنتدى تمتد للسنوات الخمس القادمة؛ آخذين بالحسبان أن سرعة الأحداث من حولنا تستدعي الالتزام بقضايا الأمة وتحقيق رسالة المنتدى بأن يكون جسرا فاعلا بين صانع القرار وبين الفكر العربي، وواضعين إنسانية الإنسان قيمة عليا تستحق التضحية والعمل من أجلها.